اللغة الأم، أهم ما قيل في المسألة

La Langue maternelle, les questions les plus pertinents en la matière

the most relevant matters in the said in the native language topic

فقاص حفصة
جامعة الجزائر 2

الملخص:

عرفت اللغة الأم بكونها اللغة التي يأخذها الطفل من محيطه وسميت باللغة الأم Lange Maternelle لكون الأم الشخص القائم على تنشئة الطفل, ومن هنا يتجلى البعد الفرضي للغة الأم, أي أنَها تفرض على الطفل من المحيط .و هي لا ترتبط بالبنيات الذهنية للطفل من حيث طبيعتها الفيزيوعصبية فحسب ,بل ترتبط بهويته وشخصيته إذ تعد القناة التي يأخذ من خلالها هويته الاجتماعية و الشخصية **و** نرمي من خلال هذا المقال إلى الاحاطة بجل ما قيل في المسألة.

الكلمات المفتاحية:. اللغة الأم، الهوية اللغوية، فطرية اللغة، التنشئة الاجتماعية.

Abstract:

The mother language was known as the language that the child takes from his surroundings, and it was called the mother language, Lange Maternelle, because the mother is the person responsible for the upbringing of the child. Hence, the hypothetical dimension of the mother language appears, meaning that it is imposed on the child

from the environment. It is not related to the mental structures of the child in terms of its physical and neurological nature Not only, but it is related to his identity and personality, as it is the channel through which he takes his social and personal identity, and we aim through this article to take note of most of what was said on the issue.

Key words: mother tongue, linguistic identity, innate language, socialization..

Résumé:

La langue maternelle était connue comme la langue que l'enfant prend de son environnement, et elle s'appelait la langue maternelle, Lange Maternelle, parce que la mère est la personne responsable de l'éducation de l'enfant. Apparaît alors la dimension hypothétique de la langue maternelle, c'est-à-dire qu'elle est imposée à l'enfant par l'environnement. Il n'est pas lié aux structures mentales de l'enfant en termes de sa nature physique et neurologique Non seulement, mais il est lié à son identité et à sa personnalité, car c'est le canal par lequel il prend son identité sociale et personnelle, et nous visons à travers cet article pour prendre note de la plupart de ce qui a été dit sur la question.

Mots clés :. langue maternelle, identité linguistique, langue innée, socialisation.

اللغة الأم، أهم ما قيل في المسألة

مقدمة:

أكثر ما قيل في تعريفها أنَها اللغة التي يأخذها الطفل من محيطه وسميت باللغة الأم لكون الأم الشخص القائم على تنشئة الطفل، وبالتالي هي المصدر الأول للغة لديه ,لكنه لا يأخذها منها بالضرورة لذلك سميت أيضا بلغة المنشأ واللغة الأولى لتسلسل أرقام اللغات التي تأتي بعدها زمنيا حسب وقت تعلمها تباعاً.

وحددت بكونها "النظام اللغوي الذي يكتسبه الطفل في مجموعته اللغوية ويستبطن قواعده ويوظفه لإنتاج جمل بفضل قدراته اللغوية، فالطفل من خلال التفاعل مع مجموعته اللغوية يبني نظاما مجردا يمكنه من معالجة الملفوظات وإنتاجها" [1]. ويتم ذلك دون عناء بل بطريقة لاشعورية بفضل الاستعدادات الفطرية التي تساعده على تقبل المعلومات ومعالجتها وتصنيفها واستدعائها حين الاستعمال فهو يكتسب البنى اللغوية ومختلف القواعد والمفردات من خلال السماع لتصبح لديه أنماط مختلفة يولد من خلالها كلاما جديدا بصفة إبداعية تتماشى وملكته وفي هذا الإطار أثار تشومسكي " مفهوم الحالة الذهنية الأساسية الفطرية والمحددة وراثيا والتي تمكن الطفل من اكتشاف بنى لغته وتطويرها بفعل الاكتساب لتصير حالة ثابتة عند اكتمالها إذ يعد أي تغيير في هذه الحالة هامشيا" [2].

ومن هنا يكون السماع والممارسة المستمرة أهم ركائز الاكتساب بالتدرج من مستوى إلى آخر تبعا لمراحل النمو النفسي – الحركي للطفل انطلاقا من المستوى الصوتي الذي يكتسب في المراحل الأولى، إذ يبدأ الرضيع بالمناغاة والصراخ والبكاء للتعبير عن حاجات تواصلية ثم ينتقل إلى تقليد بعض الأصوات النابعة عن محيطه ليتشكل النظام الصوتي لغته الأولى تدريجيا ليتوصل بعدها إلى المرحلة المقطعية حيث يصير قادرا

(1)صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة الجزائر ، 2009، ص 17 .
(2)Chomsky Noam, Règles et représentation, tard Alain Kihn, Flamarion, France, 1985 , p 177 .

على الجمع بين صوتين في مقطع صوتي، مما سيفضي به إلى تكوين كلمات في مرحلة لاحقة.

يتم كل هذا بالموازاة مع اكتشاف المعنى والربط بين ما أسماه "تشومسكي" التمثيلات الصوتية بالتمثيلات الدلالية في شكل ثنائيات متلازمة، ولكن هذا لا يعني أن كلمات الطفل الأولى تكون سليمة دلاليا ونحويا فقد يتلفظ في مراحله الأولى بكلمات من لدنه تعبر عن حاجة ما كالأكل أو الشرب أو النوم فيستعمل مقطع "كوو" للتعبير عن حاجة الأكل أو "ننني" للتعبير عن شعور بالنعاس لتتطور هذه التركيبات وتنضج حتى تصير كلمات صحيحة دلاليا وتركيبيا وهذا من خلال التصحيح الذاتي المستمر بالاعتماد على معطيات المحيط . وبعدها تأتي المرحلة التركيبية، أي كلمتين فما فوق للتعبير عن حاجة مركبة ولا يمكن للطفل أن يبلغ هذه المرحلة دون أن يبلغ رصيده اللغوي مستوى معين من النضج ويتم اكتساب المهارة التركيبية بمحاكاة اللغة المحكية تماما كالمستويات الأخرى بفضل القواعد التي يستنبطها من خلال السماع ولكن هذا لا يعني أن المحاكاة هي المبدأ السائد بل الإبداعية وذلك قياسا على ما يقدمه المحيط.

هناك من أثار " البعد الفرضي للغة الأم Lange Maternelle أي أنها تفرض على الطفل من المحيط سواء كان الأم أو غيرها وهنا يمكننا فتح باب الحديث عن الحالات التي ستكون فيها لغة الطفل الأولى ليست لغة أمه حتى وإن كانت هي الشخص القائم على تنشئته" [3].

ليس المقام هنا سرد لما جاءت نظريات الاكتساب، بل الإحاطة بما قيل في مسألة الأم أو اللغة الأولى من خلال عرض تعاريف مختلفة وربما متضاربة والخروج بما نراه أقرب إلى جادة الصواب. من أعم ما قيل في المسألة إنها أول لغة ينطق بها الطفل مأخوذة من محيطه وقد تساءل البعض عن أي لغة هي اللغة الأولى في حال الأطفال ذوي الآباء مختلطي الجنسية أي اللغتين هي اللغة الأم ؟ وأجيب عن هذه المسألة بكونها أول لغة منطوقة

(1)Jean Pierre Cuq et Isbelle Gruca , français langue étrangère , nouvelle édition , PUG, Paris, sd, p 90 .

و الأكثر تواتر في الاستعمال، وهناك من تحدث عن لغتين أم في حالة توازي اللغتين من حيث النطق والتواتر وقد اعتمدت منظمة الأمم المتحدة وبالتالي كل الهيأت والهياكل التي تقع تحتها التعريف الآتي:" هي اللغة التي يتعلمها الطفل في مراحل الطفولة الأولى على أن تكون اللغة المحكية غالبا في المحيط الأسري"وقد أضيف إلى هذا التعريف " شرط أن يحافظ الفرد على هذه المعرفة بأن تبقى هذه اللغة مفهومة دوما". بعيدا عن هذا التعريف العام والمؤسساتي يمكننا النظر في الزوايا المختلفة التي تناول من خلالها العلماء المسألة على اختلاف مشاربهم سواء كانوا سلوكيين أو فطريين أو معرفيين أو حتى اجتماعيين فإذا بدأنا بالاتجاه السلوكي وجدنا أن اللغة سلوك صريح وبالتالي هو خاضع لمسارات التعلم العامة دون تمييزه عن أنماط السلوك الأخرى، وإذا ذهبنا إلى الاتجاه الفطري وجدنا تشومسكي ينادي بفطرية اللغة على اعتبار ظهور اللغة الأولى مرتبط باكتشاف الطفل بشكل لا واعي لكليات تشكل معرفة جمعية يكيفها ومعطيات محيطه إذ يقوم الطفل بعمليات ذهنية معقدة يكتشف من خلالها نظام لغته الأولى فالاكتساب بالنسبة لتشومسكي " مرهون باكتشاف الطفل المحرك الأساسي للغته وهو النحو التوليدي التحويلي" [4]، أما الاتجاه المعرفي فهو يرى أن اللغة المكتسبة وفق مراحل تتماشى والتطور المعرفي للطفل مع الاعتراف أن الأساس المتمثل في الذكاء الطبيعي مكون فطري، أما الاتجاه الاجتماعي فهو يزاوج بين النظريتين السلوكية والمعرفية وقد خرج بمفهوم رائد في المسألة وهو مفهوم " النموذج" الذي أعطى لهذا الاتجاه تفردا في نظرته للمسألة. كل هذه الاتجاهات على اختلافها أو تضاربها في بعض الأحيان تشترك في نقطة واحدة هي أن اللغة الأولى تعد قالبا تتشكل كل اللغات التي يتم تعلمها بعدها وفقها وذلك لأن تعلم أي سلوك لاحق يتم وفق السلوك السابق كما أن تكييف المعطيات الجديدة المتعلقة بالغة الثانية متعلق بتلك الكليات التي وفقها تعلم الأولى (الأم). أما في مجال الاكتساب فإن التعامل مع المعلومات الجديدة يكون من خلال المراحل نفسها من تمثل وتكييف وتنظيم ومواءمة. والحال هذه ألا يكون من باب أولى الاعتراف بأن اللغة

(1)Chomsky Noam, Théorie linguistique et apprentissage, La recherche , N : 331, Mai 2000, France, P 27 .

الأولى لا يمكن أن تكون إلا أرضية لما يأتي من لغات بعدها في التنظيم المعرفي للفرد؟ و السؤال هل تكون مذللة أم وعرة ؟

إن هذا المفهوم يحتوى ظلال كثيرة من حيث نقاط كثيرة، فليس من السهل تحديد دلالته بشكل تام ودقيق فهناك من يستعيض عن مصطلح اللغة الأولى أو اللغة الأم بلغة المنشأ للطابع الاجتماعي الذي يتخذه المفهوم واضعين إياه في خانة محددة إيديولوجيا، خاصة في إطار الانفتاح الخطير الذي يعرفه العلم اليوم بفعل العولمة والانصهار الثقافي الذي فرضه النموذج العالمي الجديد الذي تقدمه وسائط التواصل الاجتماعي وزيادة إمكانية المصاهرة بين الأجناس، مما يزيد من عدد العائلات التي تتكلم أكثر من لغة في المحيط الأسري وبالتالي الأطفال ذوي الجنسيات والثقافات المختلفة فاللغة ليس وسيلة تواصل محايدة بل هي وعاء للفكر والثقافة يندمج الفرد بواسطتها في محيطه ومجتمعه " وتكسبه البنيات الذهنية خلال التفاعل معها" [5].

يرى "بياجه" أن اللغة والفكر متلازمان لا سابق ولا لاحق بينهما فاللغة وعاء الفكر، وكان "واطسن" يرى أن الفكر لغة صامتة، أما "كال ماركس " فذهب إلى كونها حصن للتفكير فهما متداخلان من خلال علاقة جدلية ومن هنا وجب على الفرد الإحاطة بأسرار اللغة ليتمكن من الاستجابة لما يحيط به من ظواهر اجتماعية وطبيعية واللغة بالنسبة إلى "بول ريكور" مزدوجة الوظيفة أحدها تواصلية والأخرى تحليلية تمكنه من فهم واقعه وقد ذهبت "جوليا كرستيفا" إلى القول بوحدة اللغة والفكر فهي بالنسبة إليها ليست رموزا و أصواتا إنما سلسلة من الأدلة المنطوقة و المكتوبة وهذه الصفة المادية للغة تنتج فكرا وتعبر عنه في آن معا فهي بمعنى آخر وسيلة لتحقيق الفكر فهي صورته الملموسة. ورغم ذلك هناك آراء منادية باستقلال اللغة عن الفكر الذي " يعد حسبهم نسقا من المعاني المجردة التي تنتقل إلى الغير من خلال اللغة". [6]

(1) د. أحمد أوزي، اللغة الأم والتربية على قيم المواطنة، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008 ، ص 36 .
(2) المرجع نفسه، ص 37 .

لقد أسالت مسألة العلاقة بين الفكر اللغة كثيرا من الحبر و تنالها لها ليست سوى من باب النظر في العلاقة بين اللغة الأولى والبنيات الذهنية للطفل، فالذكاء وإن كان وراثيا وفطريا إلا أن الوسيلة المثلى لتطويره وبنائه هي التواصل الإنساني من خلال اللغة. ومن هذا الباب يمكن اعتبار اللغة الأولى مفتاح النمو الذهني والتطور المعرفي ويمكننا أن نبين أن خصوصية الطفل العربي في تحليله للواقع تختلف عن الطفل الياباني لاختلاف البنيات الذهنية التي تدرب دماغ كل منهما وفقا للغته الأولى " فلكل لغة حمولتها الثقافية وبنيتها الذهنية التي تؤثر في طريقة تمثل المعلومات وتخزينها" (7).

إن علاقة اللغة بالجهاز العصبي مفروغ منها فقد بين علماء البيولوجيا العصبية أن هذه المقدرة التي يتميز بها الإنسان تخزن في منطقة معينة من الدماغ، وتحقيقها يتم وفق مسارات عصبية دقيقة جدا بربط المراكز المختلفة سواء المتعلقة بالحركة، أي الإنتاج أو تلك المتعلقة بالإدراك أي الاستقبال ببعضها، وهو ما يعني أن أي تلف في الجهاز العصبي يمس بالضرورة لغة المصاب إذ يلحق المناطق المنوطة بالنشاط اللغوي.

ولا ترتبط اللغة الأولى بالبنيات الذهنية للطفل فحسب بل ترتبط بهويته وشخصيته فهو كائن اجتماعي وهي القناة التي يأخذ من خلالها هويته الاجتماعية و الشخصية، إذ يلعب المحيط الأسري دورا محوريا في إعطاء الطفل صورة عن ذاته وغيره من خلال قنوات التواصل المختلفة ومن أهمها اللغة مما يعطي اللغة الأولى دورا هاما في رسم معالم الشخصية التي تتطور عبر مراحل النمو المختلفة ذلك للصلة الوثيقة بين اللغة الأولى والأصل الذي ينحدر منه الفرد إذ تعتبر علامة من علامات انتمائه تتجسد من خلالها هويته الثقافية الاجتماعية.

ويمكننا إعادة طرحها من خلال العالم الاجتماعي " برشتاين Bernstein"الذي ربط اللغات بالحمولة الثقافية التي لا يمكننا الانفصال

(3) المرجع نفسه ، ص 39 .

عنها فقد تصير اللغة بفعل الاستعمال لهجة لا ترقى إلى مستوى اللغة الراقية وهو ما أسماه بالوضع الراقي " Cod élabore"

إذ ينعكس الوضع الضيق سلبيا على الخلفية الذهنية والثقافية لمستعمليه من الأطفال المنتمين إلى طبقات الدنيا و المتوسطة من المجتمع مقارنة بأقرانهم الذين يستعملون الوضع الراقي، الذي يتيح لهم – حسب برنشتاين – التقدم بشكل أسهل كون اللغة الراقية والمعادلة للغة الوطنية هي عادة وسيلة نقل المعارف في المدارس. ويمكننا القول في هذا المقام أن هذا التصور صحيح لكنه محدود ذلك أنه ينطبق مجتمعات دون أخرى فإذا تحدثنا عن اللغة العربية نجد أن المجتمعات العربية على اختلافاتها وبطبقاتها المتنوعة، لا تستعمل الفصحى في التداول اليومي وبالتالي فإن فرص التي يتيحها الاستعمال اللغوي لدى الأطفال في هذه المجتمعات متقاربة من حيث حمولتها الثقافية.

وقد أرجع كل من " بورديوBordieu " و" بارسونPasseron " التفاوت في الفرص في التحصيل الدراسي بين أفراد المجتمع الواحد إلى التفاوت الثقافي والاقتصادي مما يؤدي إلى إعادة الإنتاج الطبقي، وقد خلصنا إلى أن أبناء النخبة الفكرية يظلون في هذه المرتبة بحكم إمكانياتهم الفكرية والمعرفية لأن رصيدهم الثقافي الأسري ينتقل معهم إلى المدرسة ويمكنهم من التميز وبالتالي احتلال نفس المراكز التي احتلها آباؤهم ومن هنا فهما يريان أن اللغة وعاء ثقافي لإمكانها دمج الفرد في ثقافة مجتمعه وتكسبه البنيات الذهنية خلال عملية التفاعل معها [8].

ومن هنا نقترح تحديد مفهوم اللغة الأولى مهما كانت الضلال التي قد تحيط به من خلال محددات هي كالأتي:

- المحدد الأول هو الامتلاك إذ تعد اللغة الأولى أحد المكتسبات الفردية و أهم وسيلة للاندماج الاجتماعي للفرد، وبالتالي تتمثل أول لغة يمتلكها الطفل في لغته الأم أو لغته الأولى ولتفادي الضلال الثقافية التي قد يلقيها المفهوم الأول على المصطلح اخترنا مصطلح اللغة الأولى ذلك أن

(1)المرجع نفسه ، ص 36 .

الطفل وفي حالات كثيرة يكون محتكا ومنذ مراحل الطفولة المبكرة بأكثر من لغة.

- التمكن العالي وهو المحدد الثاني ذلك أن ملكة المتكلمين الناطقين بلغتهم الأولى وحدسهما للساني يعدان من الوسائل الموثوقة لتقييم أعمال متعلقة بهذه اللغة، ولكن هذا المبدأ ليس مطلقا " إذ ترى لويز دابن Louis Dabène أن المستوى العالي لملكة المتكلمين الناطقين بلغتهم الأولى ليس معيارا مطلقا، وخير دليل على هذا بلدان شمال إفريقيا حيث يعد استعمال اللغة الأولى محدودا أمام التنوع اللساني الذي تعرفه هذه المناطق" (9).

- لاشعورية الاكتساب، فاللغة الأولى تأخذ من المحيط عبر ميكنيزمات لاشعورية دون بذل مجهود.

- الانتماء الإثني (Appartenance ethnique) فاللغة الأولى كما رأينا من أهم وسائل بناء الهوية الفردية والاجتماعية وهي أول خطوة في اتجاه الاندماج الاجتماعي للفرد وهي من هذا الباب تحمل صفات الجماعية الناطقة بها ومنه تعد علامة الانتماء الإثني بامتياز.

وقد صنفنا معايير تحديد اللغة لأولى حسب درجة الأهمية إلى أربعة معايير هي:

1- المعيار البيولوجي فهي أول نظام معرفي تواصلي برمج الدماغ لاستقباله وحفظه وفق مكنزمات فطرية لاشعورية.

2- المعيار الاجتماعي إذ تعد اللغة الأولى أول وسيلة تجعل من الفرد كائنا اجتماعيا أي أنها الوسيلة الأنجع للتنشئة الاجتماعية.

3- رتبة اللغة الأولى بين لغات المحيط في مسار الاكتساب، إذ تعد اللغة رقم واحد في الترتيب في حال كون الطفل في محيط متنوع لغويا، وفي هذا المجال يجدر التذكير بالافتراض القاضي بإمكانية وجد لغتين أوليين – إن صح التعبير- في حال توازي لغتين في مسار الاكتساب لدى الطفل.

(2)Jean pierre Cuq et Isbelle Gruca , Français langue étrangère , p 90 .

4-طريقة الاكتساب، إذ تعد اللغة الأولى تلك اللغة التي تكسب لاشعوريا أي أنها لا تلقن بل تتطور بطريقة طبيعية إلى حين اكتمالها .

أول من أقر بكون الدماغ هو العضو المسؤول عن النشاط اللغوي كان الفيلسوف "أبوقراط " الذي أشار إلى كونه مصدر الفكر وربطه بالغة لأن هذه الأخيرة بالنسبة إليه تعد أولا و أخيرا نشاطا فكريا، وبعد قرون جاء العالم بويو "Bouillaud" سنة 1825 ليلقي الضوء على أحد الاضطرابات اللغوية الناجمة عن تخريب دماغي ليربط بذلك بين اللغة كملكة معرفية وطبيعتها الفيزيوعصبية كونها تنتقل من دماغ المرسل كسلسلة من الإشارات الكهربائية إلى دماغ الملتقى كذبذبات أثيرية تتحول إلى الدماغ كإشارات كهربائية من جديد لتفسر حسب المنطقة المسؤولة، وأتى بعده لوردا Lordat الذي اقترح نظرية تناقش المسارات الرابطة بين الفكر واللغة وقد أتى من خلالها على ذكر الحبسة التوصيلية أو الحبسة الحسية كما أسماها فرنيك Wernick "التي تمس المستوى الإدراكي في النشاط اللغوي.

إن اللغة كنشاط فيزيولوجي مركزه الدماغ لا توجد في منطقة واحدة بل مناطق متعددة من هنا تعددت الاضطرابات اللغوية، أي أنها تختلف باختلاف المنطقة المخربة إذ أن كل منطقة مسؤولة عن نشاط معين.

فقد تحدث بروكا عن أربع مناطق صنفها كالأتي:

- المركز البصري اللغوي (Visuel – Verbal) المسؤول عن تلقي الإشارات المرئية من المركز البصري وإعطائها دلالتها اللغوية من خلال فعل القراءة.
- المركز السمعي الشفهي(Auditif-Varbal) المسؤول عن تلقي الإشارات من المركز السمعي وإدراكها كوحدة لغوية بغض النظر عن كونها صوتا فيزيائيا.
- المركز الحركي (Moteur) المسؤول عن تنظيم حركات الجهاز الصوتي القائمة على فعل الكلام وهو موجود في المنطقة الجبهية (Zone frontale).

- المركز الحركي المسؤول عن حركة اليدين وبالتالي فعل الكتابة، وهو موجود في المنطقة الجبهية أيضا" [10].

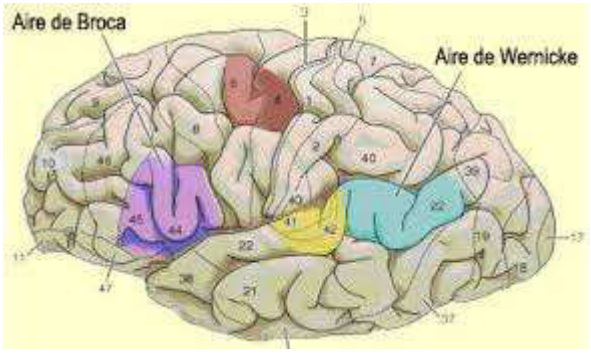

الشكل الأول

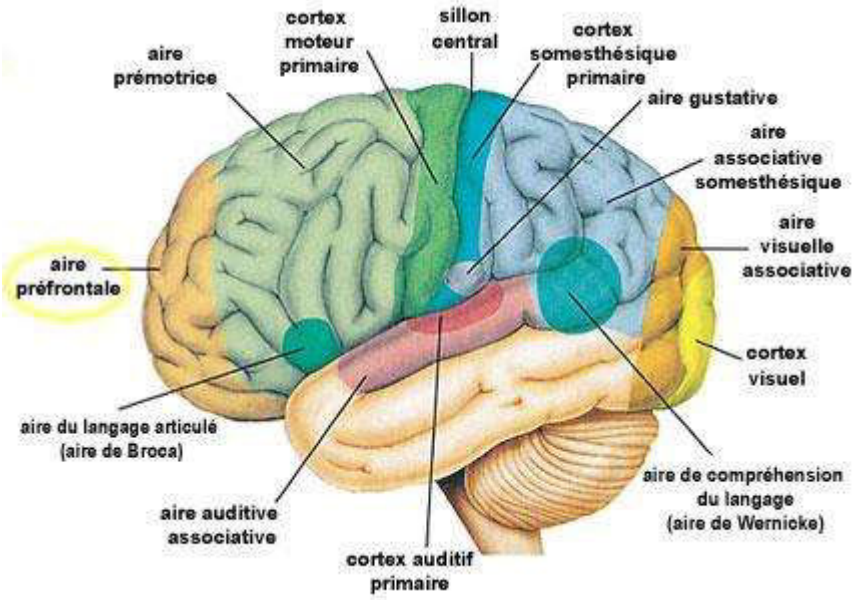

(1)Charles Pierre Bouton, L'acquisition d'une langue étrangère, Klincksieck, Paris 1974 , p 116 .

الشكل

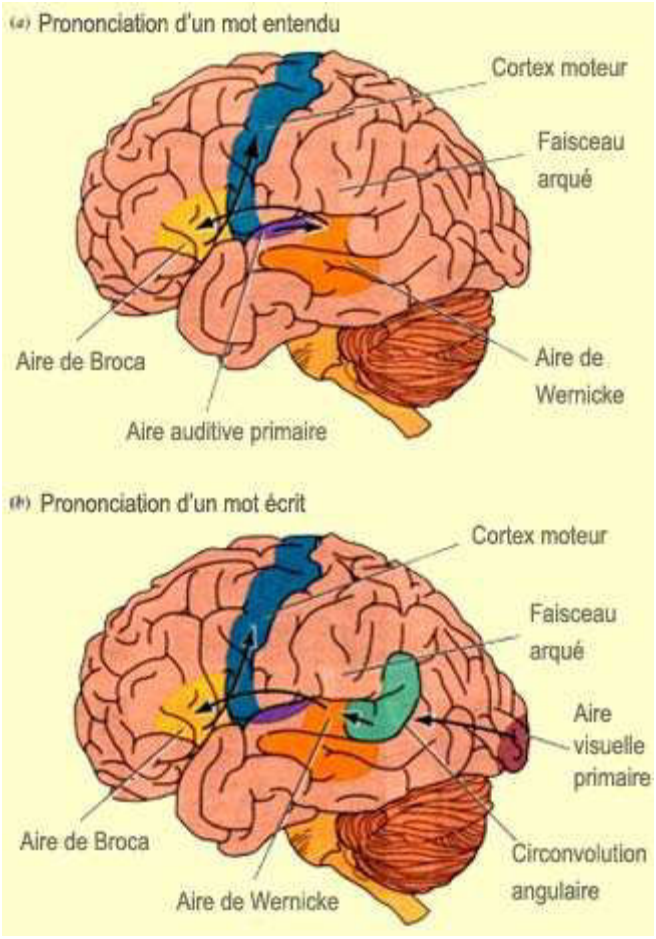

الثاني

ليس المقام هنا التفصيل في المناطق الدماغية المسؤولة عن النشاط اللغوي بل الإشارة إلى المرجعية الفيزيوعصبية للنشاط اللغوي عامة للولوج إلى مجال الطبيعة الفيزيوعصبية للغة الأولى من حيث ميكنزمات الاكتساب وإمكانية اعتبارها قاعدة فيزيوعصبية في مسار تعلم أية لغة أخرى وترى النظريات الحديثة في مجال العلوم العصبية les neurosciences أن تعلم اللغات الأجنبية يعد بمثابة محرك للدماغ من خلال تنشيط مراكز تخزين جديدة إضافة لتلك التي أحدثتها اللغة الأولى بتوسيع هذه الأخيرة.

إذا افترضنا أن النشاط اللغوي يتم وفق المسارات الفيزيوعصبية لدى كل المتكلمين سواء من حيث الاكتساب أو الإدراك أو الاستعمال – مع مراعاة بعض الفروق الفردية المعزاة إلى الذكاء والذاكرة – فهذا يعني أن اللغة الأولى تنتظم وفق أسس متشابهة بين المتكلمين بحيث تشكل مرجعية مشتركة.

إن الحديث عن الطبيعة الفيزيوعصبية للغة الأولى يقودنا بالضرورة إلى الحديث عما تمثله هذه الأخيرة بالنسبة إلى كونها نظام تمثيلي للواقع وإدراكها بالطريقة الصحيحة لا يكون إلا من خلال إدراك الواقع هي بالتالي مرحلة يرتبط فيها الواقع الخارجي بالإحالات التمثيلية التي تتيحها اللغة.

تمثل اللغة قبل كل شيء نسيجا معقدا من الروابط العصبية بين الإدراك المادي للواقع (اللون، الشكل، اللمس، الرائحة، الحجم، ....) والتمثيلات الإدراكية اللغوية، أي بتعبير لساني صرف ربط الدال ذهنيا بالمرجع ثم ربط المرجع بالمدلول. وهو ما اصطلح عليه بالروابط التي تصل المرجع العصبي المفهومي" Gnosie " بمجموع المراكز والمسؤولة عن النشاط الحركي المحدث للأصوات المكونة للكلمات" Praxie ".

لكن اللغة لا تتعدى هذه الحدود البيولوجية الضيقة لهذا لا يمكن تناولها بعيدا عن كونها نظام تحكم ديناميكيته بنية معقدة تمكننا من تجريد الملموس وتجسيد المجرد، من هدا الباب كانت اللغة الوسيلة الأنجع لنقل تجارب البشر ومعارفهم على تعقيدها بغض النظر على غيرها من الأنظمة الدلائلية التواصلية.

إن الفصل بين كون اللغة مجردة وبين كونها إنتاج خاضع لقوانين فيزيولوجية أمر في غاية الصعوبة ذلك أن التجريد الذي يحيط بالمسألة جعل منها قضية يهاب الخوض فيها لكن أبحاث العالم اللساني " ياكوبسن " أزالت بعض الغموض الذي يكتنف المسالة فقد كان هذا العالم من الذين نادوا بضرورة النظر إلى طبيعة اللغة من وجهتين هما الاكتساب والفقدان،

إذ اعتبر المسارين متعاكسين يمكن من خلالهما النظر إلى هذه الملكة بعيدا عن الآراء المختلفة سواء كانت لسانية أو فلسفية والتركيز على طبيعتها الفيزيوعصبية وكانت أبحاثه الرامية إلى إعادة تصنيف الحبسة بالنظر إليها كاضطراب لغوي، بالعودة إلى كل التصنيفات سواء العيادية أو النفسية، للخروج بتصنيف يزاوج بين طبيعة المرض وطبيعة الاضطراب اللغوي يعد مزاوجة ناجحة بين نظريتين البيولوجية و اللغوية، إذ أعاد النظر في الاضطرابات اللغوية لا من حيث كونها مرض فحسب، بل من حيث كونها إنتاج مضطرب لنظام متكامل مكتسب مسبقا هو اللغة فجاء تصنيفه للاضطرابات لغويا بحثا بمصطلحات لسانية كالتشابه والتجاور والوضع والاستيضاح وغيرها. وفي هذا الصدد لا يجب خلط بين طبيعة اللغة بكونها نظام قائم على الربط بين وحداته لتحقيق وجوده فعليا وبين طبيعتها الفيزيوعصبية التي يجب أن تكون سليمة ليسلم هذا النظام ويخرج للوجود في صورته الكاملة، وحلقة الوصل هي تلك التي توصل إليها ياكوبسن من خلال تصنيفه القاضي بوجود نوعين من الاضطراب أحدهما راجع إلى تحديد علاقات التجاور بين الوحدات على مستوى المحور التركيبي والآخر قائم على عدم القدرة تحديد علاقات التشابه في مستوى المحور الاستبدالي.

" إن شبكة الروابط العصبية المسؤولة عن النشاط اللغوي تعد ذاتية الاستثارة وذلك من خلال العلاقات الفئوية أو المفهومية التي تحدد وفق المحورين الاستبدالي والتركيبي" [(11)].

وقد حددت الميكنزمات الفيزيوعصبية التي تتحقق اللغة من خلالها بهذه العلاقة بين الواقع كما هو موجود فعلا، وكما يتم تحليله في الدماغ وتخزين معطياته واستظهارها من جديد. إن الآلية تم من خلالها اكتساب اللغة الأولى تسمح ببيان مجموعة من المحددات التي تحدد من خلالها الطبيعة الفيزيو عصبية للغة وهي:

1- نظام الإدراك الثنائي الحركي و المفهومي الحركي، أي مجموع الروابط العصبية التي تصل بين المراكز العصبية

(1)Ibid , P 149 .

المفهومية Gnosique والمراكز المسؤولة عن النشاط الحركي Praxique، وبالتالي تلك المسؤولة عن ترجمة الرسائل واستيضاعها ومن ثم توضيع أخرى من خلال أنظمة النقل العصبي الحسي للدماغ أو النقل العصبي الحركي من الدماغ إلى العضو المنتج سواء كانت الرسالة منطوقة أو مكتوبة.

2- طبيعة اللغة نفسها من حيث العلاقات الرابطة بين وحداتها، نخص بالذكر علاقات التجاور والتشابه التي تعد مثيرات ذاتية منشطة لفعل الإنتاج اللغوي " إن هذا النظام الاستثاري محكوم بمكنيزمات تسمى ميكنيزمات التنسيق السمعي – الحركي" [(12)].

وبالتالي فإن تعلم أي لغة ثانية محكوم بهذه المحددات إذ تنتظم وفقها تماشيا والطبيعة الفيزيوعصبية التي رسمت معالمها اللغة الأولى من خلال وحداتها والعلاقات الرابطة بينها حسب مبدأ الاستثارة الذاتية الناجمة عن علاقات التجاور والتشابه فالناطق باللغة الفرنسية يفكر باللغة الفرنسية وتحليله للواقع يتم وفق طبيعة هذه اللغة التي يعد التركيب فيها اسميا، فإذا أراد هذا الشخص تعلم اللغة العربية وجب عليه تكييف هذه اللغة الجديدة التي تعطي أولوية للتركيب الفعلي ويستثمر الجملة الاسمية في اللغة العربية وهي التي تعطي تتماشى والقاعدة الفيزيوعصبية الناتجة عن اللغة الأولى أي الفرنسية.

وعليه فإن مسار تعلم لغة ثانية يجعلها ,رغم اختلافها عن اللغة الأم, تنطلق من نفس القاعدة الفيزيوعصبية بهدف جعل اللغة الثانية أو الثالثة أو أيا كان ترتيبها من ضمن المعارف المخزنة في دماغ المتعلم لدرجة جعل استعمالها- على اختلاف درجة التحكم فيها – أمرا تلقائيًا تمامًا كاللغة الأم من خلال ملائمة عادات الفرد اللغوية السابقة مع المتعلمة وفق الوضعيات التواصلية المختلفة.

(1)Ibid , P 149

المصادر و المراجع:

باللغة العربية:

- أحمد أوزي، اللغة الأم والتربية على قيم المواطنة، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008
- صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة الجزائر ، 2009، ص 17 .

باللغة الأجنبية:

Bronchart J.P : *Théories du langage, une introduction critique*, Pierre Mardaga, Paris, 1977.

Charles Pierre Bouton, L'acquisition d'une langue étrangère, Klincksieck, Paris, 1974.

Chomsky Noam , Théorie linguistique et apprentissage, La Recherche,N :331, France, Mai 2000.

Chomsky Noam, Règles et représentation, tard Alain Kihn, Flamarion, France, 1985.

Chomsky Noam, Théorie linguistique et apprentissage, La recherche , N : 331, Mai 2000, France.

Cuche Denys : La notion de culture dans les sciences sociales,Casbah Edition , Alger , 1998.

Cuq Jean Pierre et Gruca Isabelle : Français langue étrangère, Nouvelle édition , PUG, Paris, sd.

Danset Alain : Eléments de psychologie du développement, Armand Colin, Paris, 1983.

Edwards John : Language and identity , University press , Cambridge , 2009.

Jean Pierre Cuq et Isbelle Gruca , français langue étrangère , nouvelle édition , PUG, sd Paris.